المدينة وهاجس العنف الحضري ـ أي تحديات ـ

The city and the obsession of the urbanviolence - any challenges?

الأستاذ: محمد ذرذاري

أستاذ محاضر (أ) sociologie09@gmail.cm

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

نمط المشاركة: عن بعد

ملخص:

ساهمت السوسيولوجية الحضرية ومنذ الرواد الأوائل في فهم المدينة وما يرتبط بها من مظاهر للتحضر والحضرية انطلاقا من أهمية بيئة العيش وكذا مجال العيش المشترك والمتمثل في التجمعات الحضرية، هذه الأخيرة التي تفرز مجموعة من الممارسات والأفعال الاجتماعية داخل المدن كنتيجة حتمية للتغير الاجتماعي المستمر الذي في كل مرة يغير من معطيات وعناصر المدينة مخلفا وراءه أسئلة اجتماعية جديدة تحتاج إلى إجابات وقبل ذلك تشخيص وفهم دقيق لهذه الظواهر الحضرية التي تُفرز داخل المدينة بما فيها الممارسات والأفعال السلبية التي هي الأخرى تعتبر محصلة للتغير الاجتماعي، والتي من بينها أو بالأحرى أهمها مظاهر العنف الحضري، هذا الأخير الذي أخذ أشكالا و أنواعا متعددة، لكنها تشترك كلها أنها أصبحت تشكل عبئا على المدينة وساكنيها لما تخلفه من أضرار جسدية ومعنوية على ضحايا السلوكياتالانحرافية والاجرامية التي تدخل كلها في دائرة ما يعرف بالعنف الحضري، الذي يعتبر من بين أهم التحديات التي تواجه المدن.

الكلمات المفتاحية:

المدينة– العنف الحضري– الأسرة

Summary:

Since the first pioneers, urban sociology has contributed to understanding the city and its associated manifestations of urbanization and urbanism, based on the importance of the living environment as well as the field of coexistence represented by urban communities, which produces a set of social practices and actions within cities as an inevitable result of continuous social change that occurs every time. It changes the data and the elements of city, leaving behind it a new social questions that need answers, before that, an accurate diagnosis and understanding of these urban phenomena that emerge within the city, including negative practices and actions that are also considered as a result of the social change, among which, or the most important of them, are manifestations of urban violence, This last thing, which has taken many forms and types, but they all have in common that it has become a burden on the city and its residents due to the physical and moral damage that it causes to the victims of deviant and criminal behaviors, all of that Intervene in the circle of what is known as urban violence, .which is considered among the most important challenges facing cities

Key words

The city – urban violence – the family

مقدمة:

نحاول من خلال هذه الورقة العلمية تتبع واقع المدينة الجزائرية انطلاقا من التغير الاجتماعي الذي تعرفه الحواضر العالمية نتيجة حالة التحضر والحياة الحضرية، التي هي محصلة التطور التكنولوجي والعلمي على وجه التحديد، مما أدى إلى زيادة عدد سكان الحضر داخل المدن في مقابل تراجع الحياة الريفية والبدوية

وانحصرت مظاهرها ووجودها بشكل كبير ولافت، أمام موجات الهجرة الحادة التي عرفت نزوحا كبيرا للسكان الريفيين إلى المدن والتجمعات الحضرية، رغبتا في تغيير الأنماط التقليدية إلى أخرى حديثة ومعاصرة، وتحسينا للمكانات الاجتماعية بفعل توفر عوامل الرقي والارتقاء الاجتماعي التي توفرها مناصب العمل وفرص التمدرس وأسباب البزوغ والنبوغ الثقافي الذي هو سمة تاريخية للمدينة عموما، هذه الأخيرة التي لا يمكن إخفاء مظاهر البؤس فيها نتيجة عامل التحضر نفسه الذي كان عامل الرقي والتقدم، فأضحت المدينة مسرحا للكثير من مظاهر العنف والتعدي على النظام والعلاقات الاجتماعية.

يعتبر العنف مظهرا من مظاهر التقهقر الحضري، والذي بات يؤرق المدينة والقائمين عليها من المشتغلين بالسياسات الحضرية، التي تحاول جاهدة الحد من مظاهر التأزم التي تشهدها الحواضر من خلال تحسين بيئة السكن الحضري، وفق معايير التخطيط الحضري التشاركي وكذا محاولة توفير كافة الاحتياجات الحضرية من مناصب شغل وإسكان، وبيئة خالية من عوامل التلوث ومسبباته، وكذا العمل على التخفيف من حدة وتداعيات الهجرة الريفية نحو المدن من خلال بلورة مفهوم التنمية الحضرية، وكذا التنمية الريفية التي هي صمام الأمان وخط دفاع متقدم للبيئة الحضرية، من خلال تحويل عامل الهجرة من صفته المرضية الحادة إلى صفته الصحية المحمودة، هذه الهجرة التي لا يمكن إختزالها من مشهد العلاقات الريفية الحضرية عبر التاريخ.

وسعيا منا كمشتغلين في حقل المعرفة الاجتماعية، نحاول من خلال هذه الورقة العلمية تسليط الضوء على واقع المدينة الجزائرية في ظل ما تشهده من تغير اجتماعي مس بنياتها المختلفة وأثر على نسيجها الاجتماعي والقيمي مفرزا الكثيرمن المظاهر التي تعبر عن اختلال واعتلال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أنفسهم، أو بينهم وبين البيئة التي يعيشون فيها، ممثلة في المدينة التي وصل الحد فيها إلى عدم الأمان واستحالة الحياة فيها أحيانا، نتيجة عوامل العنف ومظاهره وأسباب تفشيها داخل المجال الحضري

1- مدخل مفاهيمي:

1-1- المدينة والتعدد المفاهيمي

يعتبر مفهوم المدينة من بين المفاهيم التي عرفت الكثير من الاسهامات العلمية والنظرية التي حاولت كلها إعطاء تصور نظري للمدينة مما نتج عنه تعدد وتداخل هذه التعاريف ولعل هذا الثراء المعرفي حول المدينة ناتج عن تقاطع الكثير من التخصصات التي عنيت بالمدينة مما جعل كل تخصص ينفرد بتعريفه لها آخذا بعين الاعتبار طبيعة التخصص وما يحتويه من معارف كالجغرافيا و الاقتصاد والتاريخ والاثنوغرافيا الأنثروبولوجيا و غيرها من التخصصات الأخرى بالإضافة إلى أن هذا التنوع المفاهيمي ناتج عن عدم وجود معايير وتصنيفات موحدة تحدد في ضوئها المدينة، مما فتح المجال واسعا أمام الكثير من الاسهامات التي اختلف تعريفها للمدينة باختلاف ما تضعه من معايير لتصنيف المدن خاصة تلك التصنيفات المبنية على المعيار الديمغرافي الذي تحدده الدول والهيئات العالمية في اعتبار أن عددا محددا من النسمات هو الذي يشكل مدينة وأقل منه يعتبر قرية مما نتج عنه تصنيفات ديمغرافية متعددة ومختلفة تتعارض في كثير من الأحيان ، كما أن كل المعارف الانسانية والاجتماعية كان مصدرها أحد هذين المجتمعين الريفي أو الحضري فهي ناتجة عن تفاعلات الأفراد فيما بينهم أو بينهم وبين مجالهم سواء كان ريفيا أو حضريا.

فقد نتج عن هذا التجاذب والحراك العلمي وجود تعاريف كثيرة ومتعددة يمكن أن نتعرض لبعضها على النحو التالي:

تعريف ابن خلدون:

تحدث ابن خلدون في مقدمته عن أقدمية البدو عن الحضر وأن البادية أصل العمران ، أي أنتمركز الناس بكثرة في مكان محدود جدا بالإضافة إلى التقسيم الدقيق للعمل هو الذي يفسر ظهور المدن والعمران" من هنا . فالمدن قامت على فائضمستخرج من الأرض والعمل نتيجة لتزايد الإنتاج الزراعي

وحصول فائض فيه ، الشيء الذي جعل فئة من السكان القاطنين بالبوادي تتحرر من عمل الأرض والاستقرار من بعدها في تجمعات سكنية ازداد حجمها عبر الزمن اتساعا و تركيبا بكيفة أصبح من الصعب نعتها بأنها تجمعات قروية أو بدوية بل ستسمى فيما بعد مدنا.

يركز ابن خلدون على مستخرج الأرض لبلوغ مرحلة المدينة كما يركز كذلك على أن ظهور المدن جاء استجابة لمرحلة الدعة كما يسميها ابن خلدون وبلوغ مرحلة من المعاش الكمالي هذا المعاش الذي يكون في المدن ويسعى إليه البدوي ويكون له غاية وهدفا "ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها وينتهي بسعيه إل مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعائده عاج إلى الدعة وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة"، ووما يستشف مما سبق هو أن ابن خلدون يعتبر المدينة مرحلة انتقال ونمط عيش.

تعريف جمال حمدان:

إنها مكان كبير لدرجة أن الناس لم يعودوا يعرفون بعضهم البعض، وتمتاز بعدم التجانس بين السكان وبين الطبقات الاجتماعية أو الحركة الاجتماعية1

تعريف حليم بركات

المدينة تتحدد من خلال الوظائف المتعددة التي تؤديها فهي مركز الحكم والقوة، فيوجد فيها مؤسسات الدولة من وزارات وجيش ومحاكم ومجالس انتاجية وسفارات...الخ2

تعريف عبد الحميد ديلمي:

المدينة إطار حياتي وإنتاج اجتماعي تاريخي وعمل فني تحمل جمالا وأدبا، تنتج إيديولوجية في النمط الحياتي وفي إعادة إنتاج العلاقات1

1جمال حمدان، جغرافيا المدن، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، (د ت)، ص 05، ص14

2حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984، ص 229

تعتبر هذه التعاريف عينة من مجموع التعاريف والاسهامات النظرية التي حاولت إيجاد إطار لفهم الظاهرة الحضرية من خلال مفهوم المدينة الذي يعتبر محور الاشتغال بالنسبة للسوسيولوجيا الحضرية.

1-2- العنف الحضري:

يقصد بالعنف الحضري: "تلك العمليات الممارسة من طرف جماعة أو جماعات، قصد تغيير الأوضاع والمطالبة بالحقوق على أنواعها المختلفة اقتصادية، اجتماعية أو سياسية كانت، وذلك بإتباع أدوات وأساليب عنيفة داخل المحيط الحضري، والمدينة تعتبر عامل هام للتعبير عن أشكال العنف والعمليات العنيفة. كما أن معاناة الفئات المهمشة وحرمانها من معظم الحقوق، يعد عامل أساسي في ازدياد ظاهرة العنف بالمدينة.2

والعنف الحضري كذلك سلوك بعيد عن التحضر تحركه الدوافع العدوانية، والطاقات الجسمية وينصب على الأشخاص وممتلكاتهم لقهرهم، ويرى البعض أنه سلوك يتبناه الفرد ضد المخاطر التي يواجهها من أجل البقاء على الحياة ومواجهة ظروف الحياة بالمدينة.3ويمكن تصنيف السلوكات العنيفة بالمدينة في ضوء العديد من المعايير، معيار أولي يشمل شكل السلوك العنيف وطبيعته، ويظهر هذا النوع في أحداث الشغب والتظاهرات والإضرابات، معيار ثاني يشمل الفعل العنيف ودوافعه حيث يكون للعنف أهداف سياسية، اقتصادية واجتماعية ودينية، معيار ثالث مرتبط بالقوى التي تمارس العنف ويمكن الحديث في هذا الإطار عن العنف العمالي، العنف المؤسسي4

1-3- التحضر والحياة الحضرية:

---

1 عبد الحميد ديلمي: الواقع والظواهر الحضرية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،(د.ت)،ص 34.

[2] براهيم توهامي، اسماعيل قيرة، د.عبد الحميد دليمي: التهميش والعنف الحضري، سلسلة الدراسات الحضرية، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004 ،ص، ص، 41. ،44

[3] عبد الله المبارك الزواهرة: العنف داخل مراكز الإصلاح والتأهيل، أسبابه وأنماطه، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 29. ،ص،2013

[4] نفس المرجع ص31.

- ✓ "التحضـــر ظـــاهرة انتقـــال الأفـــراد ومـــا يحملونـــه مـــن أفكـــار و معتقـــدات وعـــادات وأشـــياء إلى المراكز الحضرية أي المدن الكبرى"[1].

- ✓ **كمـــا يعرفـــه "أمـــوس هـــاولي"** (.HAmos): "أن عمليـــة التحضـــر تبـــدو مـــن أكثـــر جوانبها وضوحا وكأنها عملية إطار سكاني متزايد التنظيم "[2].
- ✓ **ويعرفـــه "لـــورين نلســـون"** (L . Nilson.): "كلمـــة التحضـــر مـــرادف لكلمـــة العلمانيـــة التـــي تمتـــاز بالتقـــدم بمعـــدلات ســـريعة ووجـــود وســـائل اتصـــال حديثـــة تـــربط بـــين المناطق المختلفة...."[3].
- ✓ **التعريـــف العـــام للتحضـــر:** "ظـــاهرة اجتماعيـــة جغرافيـــة ينتقـــل الســـكان فـــي ظلهـــا مـــن المنـــاطق الريفيـــة إلـــى المنـــاطق الحضـــرية وبعـــد انتقـــالهم يتكيفـــون بالتـــدرج مـــع طـــرق الحيـــاة وأنمـــاط المعيشـــة الموجـــودة فـــي المـــدن وهـــو اساســـا يعنـــي تمركـــز الســـكان فـــي المـــدن ويـــؤدي إلـــى تغيـــر اجتمـــاعي وثقـــافي وتـــدعيم الـــروح الفرديـــة فـــي العلاقـــات التـــي تصبح ثانوية بعد ما كانت أولية في القرية..."[4].
- ✓ **تعريـــف احمـــد زكـــي بـــدوي:** "التحضـــر مفهـــوم ديناميكي يشـــير إلـــى عمليـــة تحويـــل المنـــاطق الريفيـــة إلـــى منـــاطق حضـــرية وتـــؤثر هـــذه العمليـــة تـــأثيرا قويـــا فـــي التركيـــب الاقتصـــادي للســـكان، إذ يـــنخفض عـــدد الســـكان الـــريفيين فيقـــل عـــدد الأفـــراد المنشـــغلين بالزراعة ويزداد عدد الذين يشغلون بغيرها"

---

[1] FAULQUIE PaulVocabulaire des sciences sociales, P.U.F, Paris;1978p236

[2] عبد الرؤوف الضبع: علم الاجتماع الحضري،ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2003، ص 14.

3 نفس المرجع، ص 14.

4 فوزي رضوان العربي: دراسة في المجتمع العربي، نقلا عن محمد بوخلوف: التحضر، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2001، ص 23.

- ✓ **المعنى الجغرافي للتحضر:** وهو اتساع الرقعة الجغرافية للتجمعات السكنية الحضرية بسبب التحولات الاقتصادية والإدارية مثلما هو الحال في المدن الجديدة والمدن الصناعية والتوسع الجغرافي يدل على صحة المجتمع الحضري1.
- ✓ **المعنى الديموغرافي:** وهو ازدياد عدد السكان داخل الوسط الحضري نتيجة النمو الطبيعي للسكان وكذلك النمو السكاني الناتج عن الحركة الجغرافية للسكان من الريف إلى المدينة2.
- ✓ **المعنى الايكولوجي:** هو ازدياد حجم المدينة وارتفاع كثافتها وخلق مناطق متخصصة في مختلف النشاط وما ينتج عن ذلك من تفاعل اجتماعي هذا الذي يولد الابتكار والإبداع وفي النقيض قد تكون مصدرا لانتشار الأمراض والآفات الاجتماعية وقلة الأمن ومن هنا فإن التحضر يؤدي إلى إنتاج بيئة ذات طبيعة
- ✓ **تعريف الحياة الحضرية:** "نماذج الثقافة والتفاعل الاجتماعي التي تنجم عن تركز عدد كبير من السكان في مناطق محدودة نسبيا وتعكس الحضرية تنظيم المجتمع في حدود تقسيم العمل المعقد."3.
- ✓ **تعريف آخر للحياة الحضرية:** "هي عملية تحول الأنظمة الاجتماعية والثقافية وغيرها جراء الهجرة من الريف إلى التمركز في المدينة وما يتبع ذلك من تحول وتغير في الشخصية".4

1 محمد بومخلوف: التحضر، دار الأمة، الجزائر 2001، ص 25.

2 نفس المرجع، ص 26.

3 نفس المرجع، ص 498

4 REMY (J): la ville et l'urbanisation, geambeaux, ED du culot, 1974, p 237

2- الاتجاهات النظرية لمعنى العنف الحضري:

تعتبر ظاهرة العنف ظاهرة على أعلى درجة من التعقيد والتشابك، مما أدى إلى تعدد أشكاله وتنوع أسبابه، دوافعه ومستويات ممارسته، كما تتعدد الأبعاد المفسرة للظاهرة من اجتماعية،اقتصادية وسياسية....، هذا إضافة إلى تنوع الاتجاهات المفسرة والتي ندرج أهمها كالآتي :

- **الاتجاه الأول** :ويرى هذا الاتجاه بأن العنف يتمثل في كل سلوك متضمن الاستخراج الفعلي للقوة المادية، بهدف إلحاق الأذى بالآخرين والذات معا، إضافة إلى تخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف
- **الاتجاه الثاني** :مرتبط بالاتجاه الأول وما يتضمنه هذا الاتجاه أنه يوسع مفهوم العنف، ليشمل استعمال القوة والاستخدام الفعلي لها .
- **الاتجاه الثالث** :وينظر للعنف على أنه مجموعة اختلالات وتناقضات متضمنة في الهياكل الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية داخل المدينة الواحدة أو المجتمع الواحد (غياب التكامل الوطني)، ويطلق عليه العديد من الباحثين تسمية: "العنف الكلي أو البنائي[1]

3- العنف الجماعي ضد المدينة(رمزية بيار بورديو):

إن ما يصعب الأمر هو أن يكون للعنف صبغة ثقافية في جوانب من أخلاق المجتمع، فعندما يتم الإجماع على التعامل بعنف مع مكونات المدينة الفيزيائية والطبيعية تظهر حالة اصطلح على تسميتها بالعنف الجماعي (la violence de masse)الذي يعد أخطر أنواع العنف على المجتمع وهي ظاهرة مرتبطة بإفرازات المجتمع، تتأثر بالأبعاد السياسية، الاجتماعية،، الاقتصادية وحتى القانونية، وكل واقعة عنف جماعي لها أسباب سواء مادية، أو معنوية أو شخصية ويعزى ظهورها إلى إعلاء القيم المادية في المجتمع، وغياب الوازع الديني وتأتي على شكل انتقام من المجتمع وتدل على انهيار نسق القيم السائد في المجتمع،

[1] ياسمينة غضابنة، عليمة لمطيش، العنف الحضري كمحلة لمظاهر الحياة الحضرية بالمدينة وطرق مجابهته، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد13، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة02، 2017، ص87.

وهذا العنف هو عنف مبرر لدى مرتكبيه بسبب الاجماع على ارتكابه، ولأمهم يعتبرونه الوسيلة الأفضل للحصول على الحقوق في ظل وجود خلل في القانون أو في تجاهل تطبيقه.[1]

وتشير الدراسات إلى أن العنف المتولد عن البدائية والعشائرية والهمجية والاستعمار، يمكن أن يتراجع كلما تقدمت المدنية، بمعنى أن دائرة العنف تضيق باتساع المدنية، على اعتبارات تتعلق بالإدارة والقوانين وأنواع الديمقراطيات والأنظمة وهي عملية اختبار لنصوص النظرية السابقة.

ويمكن تعليل حالة العنف الجماعي في المدينة مهما كانت دواعيها، من خلال بعد أخلاقي عقلي، عملي فوظيفة العقل الأساسية تكمن في الحفاظ على الحياة الإنسانية، أما العنف فإنه يهدف إل تدمير الإنسان وبالرغم من القاعدة التي تشير إلى اختلاف الغايات لكل منهما، فوجود العقل نفي حتمي للعنف والعنف نفي حتمي للعقل، وظهر أحدهما يخفي الآخر بالضرورة، إلا أن الحالة المتقدمة من العنف الجماعي ضد المدينة جعل من العقل وسيلة في يد العنف، بحيث أنها عقلنت هذا العنف فأصبح معمما على الجميع للانصياع والامتثال بوصف أقرب للعنف البدائي الذي ينتهج فيه "حرب الكل" لتحقيق المكاسب المادية لا غير وأمام تأخر ممارسة العنف الشرعي للادارة في الجانب من حياة المدينة تلجأ كل مجموعة من المجموعتين إلى ابتكار أعراف حاكمة متفق عليها ما بين الأفراد المجموعة الواحدة، مع ازدياد تمكن المجموعتين من العنف ضد المدينة تبدأ مرحلة شرعنة الأفكار المبتكرة للعنف

ويمكن أن يجد هذا العنف الممارس على المدينة تبريرا نظريا من خلال ما يقدمه علم الاجتماع "بيار بورديو" في معرض حديثه عن العنف الرمزي الذي يعرف أنه" كل نفوذ أو سلطة تأتي من خلال طرح جملة من الدلالات والتي تفرض و تحمل في معانيها الشرعية لكتم ومحو تقارير القوة والتي هي في حد ذاتها أساس ومنبع لهذه القوة" بمعنى أن العنف الرمزي يطرح من خلال جمل من الدلالات التي يتضمنها رمزيا، وهذه

[1] يسار عابدين، العنف الجماعي ضد المدينة، مجلة الفكر، العدد 113، بيروت، عمدة الثقافة والفنون الجميلة، 2010، ص ص 83-85

الدلالات يقصد بها فاعلوها إنما المطالبة بشرعية الحقوق وشرعية ممارسة العنف مثلما هو ممارس عليهم لكنهم يستخدمون هذا النمط من العنف لرد الاعتبار

يرى "بيار بورديو" أن العنف الرمزي ينشأ بسبب أحداث اجتماعية ويحدث في المجتمع ويمارس عليه من طرف مجموعة من الأشخاص اتجاه بقية المجتمع، هذا يعني أن الأفراد الممارسة لهذه الظاهرة لا تنتمي إلى نفس الطبقة وهذا ما يؤكد التواجد الطبقي في المجتمع، كما يعتبر العنف الرمزي بمثابة رسالة تعبر عن مشاكل وطموحات فئة معينة في المجتمع، كما يعتبر العنف الرمزي نتيجة العنف والاستبداد والقوة الممارسة من طرف السلطة التعسفية بمؤسساتها كالمدرسة وبقية الهياكل المهنية[1] أما "مصطفى الحجازي يرى أن العنف الرمزي ينشأ من فكرة الإنسان المقهور وهو ذلك المواطن المهمش والمتروك والبعيد عن كل الميادين، كما يضيف "بورديو" أن العنف ينشأ عن اللامساواة الاجتماعية والثقافية بين الطبقات.

4- الشباب، العنف والمدينة: أي علاقة؟:

تزايد في العقود القليلة الماضية حجم الأبحاث والدراسات المهتمة بالمدينة من قبل علماء الاجتماع في البلدان النامية ويعكس ذلك في الحقيقة المكانة التي باتت تحتلها المدينة قي الفكر السوسيولوجي لدى هذه البلدان، وأيضا طبيعة التحول الذي وقع في الدراسات السوسيولوجية والذي انصب على دراسة المجتمعات المحلية في المدن، مركزا على الجوانب الثقافيةوالاجتماعية والاقتصادية لبعض التشكيلات الاجتماعية داخل المدينة.

لقد شكلت المدينة على امتداد العقود الأولى من القرن العشرين موضوعا للدراسات السوسيولوجية خاصة لدى رواد مدرسة شيكاغو الذين ربطوا بين المدينة والآثار السلبية لها، حيث انصب اهتمامهم على مظاهر التفكك والانحراف والجريمة والعنف والهامشية وغياب الحس الجماعي، ولقد اعتبر"لويس ويرث" أن المدينة أو المجتمع الحضري يتسم في الظروف المادية بضعف علاقات القرابة وضعف المكانة الاجتماعية للأسرة واختفاء علاقات الجيرة وتتجه معظم النساء في المدن إلى العمل ويميل الناس إلى تأجيل الزواج وتتميز

[1]Pierre Bourdieu;JeaneClaudePassron,La Reproduction Eléments pour une théorie du système d'enseignement, Edition de Minuit, Paris,1970,P120.

الأسرة بأنها أصغر حجما من الأسرة في الريفيقة، في المقابل يعتبر البعض أن شكل التفاعلات في الريف تكون في الغالب على مستوى ضيق ولكن بدرجة ملحوظة، واضحة وعميقة، بحيث تتميز بالبساطة والمودة والإخلاص، فالتفاعل يحدث من الزاوية الإنسانية أساسا، أما في الأوساط الحضرية فتتميز بكثرة الاتصالات ولكن مع ذلك تسود المدينة علاقات شخصية التي تتسم بالسطحية والقصيرة المدى والتعقيد والشكلية والنفعية، فالانسان يتفاعل في المدينة كرقم وكعنوان، لدرجة يمكن معها القول أن سكان المدينة أشبه بالأشباح في علاقاتهم مع بعضهم البعض.

وتتميز الحياة في المدينة بتعقدها وتنوع المشكلات التي تواجه الشباب تحديدا فيها، ومن مظاهر تصدع القيم والمعايير بشكل ملفت، حيث أكدت العديد من الدراسات أن ظاهرة العنف والانحراف هي ظواهر حضرية بامتياز ترتبط بالمدينة وملازمة لها، بل إن أعداد الجرائم والانحرافات تتضاعف كلما انتقلنا من الوسط القروي إلى الوسط الحضري من جهة وكلما زاد حجم المدينة من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار يؤكدLucian Pye أن عملية التحضر يمكن أن تكون ذات بعد تمزيقي عميق لا سيما في حالة البلدان النامية، حيث أنتج الظهور المبكر والسريع للمراكز الحضرية انقسامات وشروخات عميقة بين عوالم منفصلة للنخب الأكثر حداثة ولسكان القرى التقليديين، وفي كثير من الحالات فإن التحضر السريع قد يؤدي إلى انقسامات وتوترات اجتماعية اقتصادية ونفسية وإذا انتقلت إلى المجال السياسي تصبح منبع عدم استقرار، ولا شك أن ظاهرة التحضر تحمل في طياتها عددا من المشكلات على جانب كبير من الأهمية، أهمها البطالة وعدم الاستقرار والعنف والجريمة وسيطرة القطاع غير المهيكل[1].

كما أن الشباب حاله حال باقي الفئات الاجتماعية يتعرض داخل المدينة إلى مفهوم سوء التنظيم الاجتماعي، هذا الأخير الذي يحدث في طرفي مجال الهجرة، فكما أن المجتمعات القروية التقليدية تتفكك، تكون الهجرة نتيجة لذلك التفكك، فإن هذه الهجرة بدورها تصبح مصدرا للتفكك الاجتماعي في الوسط

[1]عبد اللطيف كداي، الشباب والعنف الحضري، مقاربة سوسيولوجية، مجلة علوم التربية، العدد الثامن والأربعون، يوليوز 2011، ص ص 45.44.

الحضري المستقبل، وذلك نتيجة للارتفاع السريع للكثافة السكانية في هذا الوسط وما ينتجه من تغيرات اجتماعية سريعة وهكذا فإن الهجرة التي تأتي بسوء التنظيم الاجتماعي تفضي سواءا في المجال الحضري أو القروي إلى مزيد من سوء التنظيم الاجتماعي الذي ينجر عنه مجموعة من الاختلالات والاعتلالات الاجتماعية من أهما العنف بجميع مظاهره

5- الأسرة بين الوظيفة الضبطيةوتشكل العنف الحضري:

تعتبر وسائل الضبط من أهم الطرق التي من خلالها تتم مواجهة مختلف الأفعال والسلوكات التي تخرق النظام العام للمجتمع عموما والمدينة على وجه الخصوص، خاصة إذا علمنا أن هذه الآليات هي كذلك جزء من القيم الاجتماعية، بحيث أن إيجاد هذه الوسائل انطلق من أهمية القيم في المجتمع من جهة وكذا الحفاظ على بقاء واستمرارية هذه القيم لما لها من دور في تعديل وتهذيب السلوك الاجتماعي لأفراد المجتمع.

يعتبر الضبط الاجتماعي ممثلا في مجموع الوسائل أحد أهم ركائز تعديل السلوك الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات، سواء كانت تقليدية أو حديثة وتبعا لنمط المجتمع وطبيعته يتحدد نوع الوسيلة الضبطية إن كانت رسمية أو غير رسمية، وتختلف آليات الوسيلتين، فالرسمية تعنى بالتجمعات الحضرية المعقدة وتكون وسائلها عبارة عن مؤسسات رسمية تأخذ بعين الاعتبار كافة جوانب الحياة اجتماعية، اقتصادية، سياسية، وكذا ثقافية وتكون مجسدة في الواقع تحت مسميات مختلفة، فهي تلك الأجهزة الأمنية والقضائية والإدارية وكذا الرقابية التي تُوكَل إليها مهمة ضبط سلوكات الأفراد وجعلها مسايرة للنسق الاجتماعي، ويتأتى هذا من خلال ما هو متاح لها من إجراءات وقوانين وآليات ردعية وعقابية للمخالفين للقوانين المنظمة لحركية المجتمع.

أما الضبط الغير رسمي، فهو ما يستمد من وسائل من داخل المجتمع الذي يوصف بأنه تقليدي وقبلي تُستمد فيه الوسائل من الأعراف والتقاليد والطقوس وكذا القيم القبلية وما تحمله من تنظيم رمزي بالمعنى الذي وظفه"بيربورديو" "Pierre Bourdieu " social capital هذا التنظيم النابع مما هو متعارف عليه داخل

النسق القبلي، وتبدو هذه الوسيلة أكثر فاعلية حين تمارس نوعا من السلطة المعنوية والقهر الاجتماعي الموجه للأفراد المخالفين لمجموع الأعراف أو (القوانين التقليدية)، وقد ظل هذا الضبط الاجتماعي التقليدي مرافقا للقبيلة في كامل مراحلها التاريخية ومازال يمارس وظيفته رغم ما تعرفه القبيلة كنظام اجتماعي تعرض للكثير من الهزات بفعل عوامل التفتيت والتفكيك التي تمارسها مؤسسات الدولة الحديثة تحت الكثير من المسميات، فتارة باسم برامج التمدين والتنمية والتحديث، وتارة تحت مسمى الاندماج بكل أشكاله في محاولة لإذابة الكل في بوتقة واحدة تنصهر فيه كل الوحدات والخصوصيات وكذا الولاءات[1].

فالمجتمع يجد في وسيلتي الضبط الاجتماعي سواء الحديثة أو التقليدية وسيلة للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي من خلال تفعيل دور هذين الوسيلتين الاجتماعيتين مرتكزا في ذلك على دور الأسرة على النحو التالي:

5-1الأسرة:

تعتبر الأسرة أهم مؤسسة اجتماعية تقوم بفعل تنشئة الفرد داخل المجتمع بداية بوظيفتها البيولوجية وما توفره للفرد من بيئة تتمثل أساسا في المسكن ومختلف متطلباته البيولوجية من مأكل ومشرب وغير ذلك من ضروريات البقاء والعيش منذ ولادته وفي مختلف مراحل حياته الأولى، كما أنها كذلك بدور مهم متمثل في الوظيفة التربوية والاجتماعية من خلال نقل القيم الاجتماعية إلى الأبناء في تراتبية تمتد من جيل إلى جيل عبر مختلف النواقل الاجتماعية المتاحة للأسرة التي تتمثل في مختلف الوسائل التربوية وكذا مختلف الرساميل الاجتماعية التي تحرص الأسرة على تمريرها للأطفال.

[1] محمد ذرذاري، التحضر وتأثيره على وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي، دراسة ميدانية بمدينة آفلو ولاية الأغواط، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم، جامعة الجزائر02، 2015،ص، ص 18.17

يمكن أن نصنف الأسرة ضمن الوسائل التقليدية التي تقوم بفعل الضبط الاجتماعي على اعتبار أن المجتمعات التقليدية تجد في الأسرة أهم خلية يقوم عليها المجتمع التقليدي وامتدت هذه الأهمية حتى بعد التغيرات التي طرأت على الأسرة بفعل عوامل التمدن والتحضر.

فبنية العائلة وتكوينها تستمد ملامحها من القبيلة أو العشيرة وما تفرضه من ضوابط وما تكرسه من تراتبية يكون الأفراد ملزمين بها، حيث يقول هشام شرابي "إن الصفة المميز للعائلة هي استمرار الأنماط الأساسية للروابط العشائرية في تنظيم العائلة وعلاقاتها، وبالرغم من أن سيطرة الأب على العائلة قد فقدت من شدتها، فإن وضعه فيها يبقى أساسيا ويمكننا أن نطلق على هذه العائلات تسمية العشيرة أو العائلة، لأن العشيرة والعائلة تصبحان في الواقع شيئا واحدا"[1].

كما عرفت الأسرة تغيرا اجتماعيا مس بنيتها وكذا وظيفتها التي كانت تمارسها في البيئة التقليدية الأصلية، ممثلة في المجتمع البدوي أو بالأحرى المجتمع القبلي وما كان يفرضه على الأسرة كنسق اجتماعي ومحور لصيرورة المجتمع ككل، وتبدأ أولى ملامح هذا الانتقال في الانتقال من المجتمع الريفي إلى المجتمع الحضري نتيجة عوامل الهجرة، لتجد الأسرة نفسها في بيئة حضرية جديدة ألت هليها العديد من فرص التغير، هذا التغير الذي يعتبر في جانب إيجابي منه فرصة للأسرة في تحسين مكانتها الاجتماعية مستفيدة من فرص الارتقاء المختلفة التي تتيحها المدينة، لكن لا يمكن إخفاء الأبعاد السلبية التي أثرت على الأسرة بنية ووظيفتا وأكثر من ذلك ما تعلق ببروز العنف الحضري داخل المدينة نتيجة التغيرات التالية:

- تحول الأسرة من شكلها الممتد إلى الشكل النووي ومدى تأثير ذلك على وظيفة الأسرة خاصة الضبطية منها، فبعدما كانت الوظيفة الضبطية مشتركة بين كل أطراف العائلة الكبيرة، وبالتالي الحرص على تقويم السلوكات الاجتماعية لأفراد الأسرة بشكل مستمر وفق قيم الأسرة والقبيلة ككل، لكن في المدينة وجدت الأسرة نفسها في ظل تراجع أطراف الوظيفة الضبطية تجد إشكالات وصعوبات في توجيه سلوكات أفرادها

[1] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، ط3، لبنان،1984، ص35.

وفق ما تقتضيه الحياة الحضرية، مما قد يؤدي إلى خروج السلوكات عن رقابة الأسرة النووية وبالتالي بروز سلوكات سلبية يمكن أن تشكل سلوكات توصف بالعنف الحضري نتيجة تراجع منظومة القيم التقليدية داخل المدينة.

- خروج المرأة للعمل، هذه السمة التي تعتبر من بين نتائج التحضر والحياة الحضرية هذه الأخيرة التي أصبحت تجد في عمل المرأة وجها من أوجه التحضر والأخذ بأسباب العصرنة والتحديث بعدما كان خروجها يشكل خرقا للمنظومة التقليدية في المجتمعات التقليدية المنغلقة، لكن هذا الخروج أدى إلى تراجع دور المرأة على مستوى أداء وظيفتها التربوية إزاء أبنائها ورعايتهم، لتجد المرأة نفسها أمام ما يعرف بتغير الأدوار والمكانات، في ظل تحقيقها لوظيفة جديدة ممثلة في الوظيفة الاقتصادية من خلال مساهمتها في اقتصاد الأسرة نتيجة هذا العمل، مما يؤدي إلى تراجع الوظيفة التربوية وبالتالي يمكن أن يؤدي ذلك إلى تشكل ملامح العنف لدى الناشئة من الأطفال.
- إنتقال الأسرة من الأرياف نحو المدن ضمن الهجرة الريفية أو النزوح الريفي، أدى إلى انتقال مجوعات كبيرة من النازحين هؤلاء الذين ينزحون بأسرهم بحثا عن سبل الاستقرار الاجتماعي وتغيير المكانات والأدوار التقليدية داخل المدينة، هذه الأخيرة التي تتوفر فيها مختلف الأنشطة الحضرية من صناعة وخدمات مختلفة وما تتيحه من فرص عمل، لكن سرعان ما تجد الأسرة نفسها في مأزق حضري حين لا تستطيع المدينة استيعاب الأعداد الهائلة من الوافدين والمهاجرين إليها، مما يضطر بهؤلاء الأسر التفكير في حلول الاستقرار داخل المدينة، لتتشكل مع مرور الوقت ما يعرف بالأحياء الفوضوية أو العشوائية كمرحلة من مراحل الاندماج والتكيف الحضري التي تنتهجها الأسر المهاجرة، مما يفتح المجال أمام تشكل السلوكاتالانحرافية ومختلف أشكال العنف الحضري داخل هذه البيئات العشوائية نتيجة عديد الأسباب والتي على رأسها غياب الرقابة الأمنية أو محدوديتها في هذه البيئات وبالتالي يمكن الحديث هنا عن أهم مجال لانتشار الجريمة والعنف الحضري والمتمثل في الأحياء الفوضوية.

- مسألة القيم الأسرية مسألة مهمة وتطرح نفسها باستمرار خاصة حين تتعارض تلك القيم التقليدية القبلية مع تلك القيم التي تتبناها المدينة مما يؤدي إلى تصادم هذه القيم وبالتالي يحصل خلل على مستوى الاندماج الاجتماعي الحضري والاجتماعي، هذا الأخير الذي من نتائج عدم تحققه بروز ما يعرف بالاغتراب وكذا الهامشية الحضرية التي من بين نتائجها عدم الرضى الحضري مع المدينة بكل عناصرها، مما يؤدي إلى ترجمة اللاإندماج في سلوكات منحرفة وغير سوية كشكل أو كتعبير على حالة اللارضى الحضري.

خاتمة:

في ختام هذه المساهمة العلمية نحاول تجديد الشعور بخطورة هذا الموضوع، المتمثل في العنف الحضري داخل المدن لما له من انعكاسات متشعبة ومتعددة تتمثل أساسا في خطورته على الإنسان باعتباره ساكنا حضريا وكذا الخطورة على المجال الذي يعيش فيه الفرد وأكثر من ذلك انعكاسه الأخطر على منظومة القيم الحضرية التي تسعى المدينة لإشاعتها والتشجيع عليها بوصف المدينة ذلك المجال الذي يمثل أفضل فرص الرقي والارتقاء الاجتماعي من جهة وكذا بوصفها مركزا إشعاعيا وحضاريا على مر التاريخ.

لكن لا يمكن إنكار وتجاوز ما تتعرض له المدينة اليوم من مظاهر التردي والتأزم الحضري الناتج عن مختلف الممارسات العنيفة، بل والإجرامية منها، إلى درجة أن وصل الأمر إلى اعتبار المدن مصدرا للقلق واللأمن بعدما كانت سببا من أسباب الطمأنينة والهدوء الاجتماعي نتيجة تفشي مظاهر العنف التي يستحيل معها العيش الحضري وما يترتب عن ذلك من تراجع دور المدن في الريادة الاجتماعية التي توفرها لساكنيها، لنشهد مع مرور الوقت ركودا للمدينة، فلم تعد ذلك الكائن الصحي الذي ينموا ويتطور مطورا ساكنته، بل أصبحنا نجد مدننا تغلق حركيتها وحيوتها أمام ساكنيها مبكرا نتيجة لانتشار مظاهر، العنف خاصة في الساعات المتقدمة من المساء وفي الليل، ونتيجة لذلك وسمت أحياء بل ومدنا بأكملها بسمة العنف وذاع

ذكرها بين الناس بالإجرام والجريمة، وأصبح المتجول فيها يتوجس خيفة من مآلات وجوده داخلها، مخافة السرقة أو النصب والاحتيال عليه وغير من ذلك مما تشينه القيم الإنسانية وأعراف السلم والأمان.

كل هذه المظاهر السلبية التي سادت المدن جعلت منا كدارسين في مجال السوسيولوجية الحضرية نفكر في تكثيف الجهود العلمية والبحثية عن طريق مختلف المقاربات من أجل الوقوف على تشخيص واضح ودقيق لإشكاليات المدن الحضرية بما فيع العنف الحضري كأهم هذه الموضوعات متبوعا بإشكالات أخرى متمثلة أساسا في مشكلات ومعيقات التنمية الحضرية بوصفها أهم معطى في استقرار المدن الحضرية، انطلاقا من معطيات الواقع الاجتماعي وعناصر الميدان وكذا مختلف المقاربات النظرية التي فسرت ودرست موضوع المدينة على غرار رواد علم الاجتماع الذين كان لهم إسهامات مهمة في موضوع المدينة على غرار "ماكس فيبر" وكذا دوركايم وحتى ماركس وجورج سيمل، فكل رائد من الروّاد الأوائل لعلم الاجتماع اهتم بظاهرة المدينة وحاول تناولها انطلاقاً من زاوية النظر الخاصة به، خصوصاً بعد المشاكل الناجمة عن الثورة الحضرية التي عرفتها أوروبا آنذاك، دون الإغفال عن الإسهام المهم الذي جاءت به مدرسة شيكاغو.

قائمة المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

1- براهيم توهامي، اسماعيل قيرة، د.عبد الحميد دليمي: التهميش والعنف الحضري، سلسلة الدراسات الحضرية، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، 2004 .

2- جمال حمدان، جغرافيا المدن، ط 2، عالم الكتب، القاهرة، (د ت)، ص 05.

3- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، ط3، لبنان،1984.

4-حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984.

5-عبد الحميد ديلمي: الواقع والظواهر الحضرية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،(د.ت).

6- عبد الله المبارك الزواهرة: العنف داخل مراكز الإصلاح والتأهيل، أسبابه وأنماطه، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، .2013.

7-عبد الرؤوف الضبع: علم الاجتماع الحضري،ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2003.

8- فوزي رضوان العربي: دراسة في المجتمع العربي، نقلا عن محمد بومخلوف: التحضر، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2001.

9- محمد بومخلوف: التحضر، دار الأمة، الجزائر 2001.

قائمة المقالات العلمية:

1-ياسمينةغضابنة، عليمة لمطيش، العنف الحضري كمحلة لمظاهر الحياة الحضرية بالمدينة وطرق مجابهته، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد13، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة02، 2017.

2- يسار عابدين، العنف الجماعي ضد المدينة، مجلة الفكر، العدد 113، بيروت، عمدة الثقافة والفنون الجميلة، 2010.

3-عبد اللطيف كداي، الشياب والعنف الحضري، مقاربة سوسيولوجية، مجلة علوم التربية، العدد الثامن والأربعون، يوليوز 2011.

رسائل جامعية:

1-محمد ذرذاري، التحضر وتأثيره على وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي، دراسة ميدانية بمدينة آفلو ولاية الأغواط، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم، جامعة الجزائر02، 2015.

مراجع باللغة الفرنسية:

1-FAULQUIE PaulVocabulaire des sciences sociales, P.U.F, Paris;1978

2- PIERRE Bourdieu;JeaneClaudePassron,La Reproduction Eléments pour une théorie du système d'enseignement, Edition de Minuit, Paris,1970

3−REMY Jean: la ville et l'urbanisation, geambeaux, ED du culot, 1974